

الأول للإسلام بزعامة
المصطفى ﷺ فإنهم في الزمن
الثاني والأخير للإسلام ببعثة
خادم المصطفى ﷺ الإمام
المهدي والمسيح الموعود عليه
السلام شرف روحاني عظيم
آخر في نصرة الإسلام في هذا
الزمن الأخير الذي عمّت فيه
الضلالة بدل الهدى، والبدعة
بدل السنة، والشرك بدل
التوحيد. إن للصحابة الكرام
في البعنتين المباركتين للإسلام
سمات عطرة تستمد أريجها
من الصحبة المقدسة، ولنا في
مناقبتهم زاد روحاني، ونبوع
من ينبوع فضل الله ورحمته
على العالمين. قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ
رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ* وَأَخْرَجَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ*﴾ (الجمعة: ٣ إلى ٥)

محور حديثنا في هذا المقام هو
نجم ساطع من نجوم الزمن
الأول للإسلام، ونذكر عن

قبسات من سيرة الصحابي الجليل

طلحة بن عبيد الله

رضي عنه

بحث وإعداد: جمال عز العرب
(المملكة المغربية)

سامية تهفو. محبتها للانصباغ بصفات هؤلاء الأطهار الذين
قال الله فيهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ
مَثَلُهُمْ فِي التَّوَرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ
فَأَزْرَهُ فَاسْتَعْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ
بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٨).

وإذا كان للصحابة هذا الشرف الروحاني العظيم في الزمن

الصحابة الكرام
رضوان الله
عليهم نجوم روحانية ساطعة
في سماء الإسلام استقت
نورانيتها من شمس الهداية
ومنع الفيوض الربانية سيدنا
محمد المصطفى ﷺ، الذي
وصفهم بقوله: "أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم
اهتديتم". وكيف لا يكونون
منبع هداية واقتداء وهم
تلامذة سيدهم وأستاذهم ﷺ
الذي زكاهم وطهرهم
وأفاض عليهم من حلل
التقوى والبركة والنور بما لم
يسبق له مثيل أو نظير في
عهود الرسالات السابقة.

لقد كان للصحابة الكرام
لمسات مباركة في تاريخ
الإسلام، ولنا في سيرتهم
العطرة دروس وعبر وغذاء
للروح والفكر باعتبارهم
نموذجاً حياً خالداً وفعالاً
لكل زمان ومكان تستقي منه
الدنيا قيم الفضيلة والشهامة
والإيثار وخدمة الجماعة
والتكافل والفدائية والثبات
على المبادئ والقيم في شتى
صورها ومفرداتها، بما يجعل
من روحانية الفرد المؤمن

المباركتين ترسًا ودرعًا تصيّد تلك السّهام التي تستهدف الرسول ﷺ حتى شلّت إحداهما. لقد عرف الصحابة قدر التضحية التي قدّمها طلحة فعبّطه كثير منهم لما عاينوا يده التي فدى بها رسول الله ﷺ.

حدثنا مسدد حدثنا خالد، حدثنا بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلّت. (٣)

علّت مكانة طلحة بين الصحابة لعظيم مسلكه حتى صار ما أصاب يده على لسان كل مسلم آنذاك يتحرى أخبار المشهد المؤثر الذي حدث أثناء معركة أحد: حدثنا طلحة بين يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما طلحة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي: سلّه (أي النبي ﷺ) عمن قضى نجه، من هو؟! وكانوا لا يتجرؤون هم على مساءلته يُوقرونه ويَهَابونه. فسأله الأعرابي فأعرض عنه! ثم سأله فأعرض عنه! ثم إنني (أي طلحة بن عبيد الله) طلعتُ من باب المسجد وعليّ ثياب خضراء، فلما رأني رسول الله ﷺ قال: أين السائل عمن قضى نجه؟ قال الأعرابي: أنا يا رسول الله. قال: هذا ممن قضى نجه! (٤).

وعن أبي هريرة قال: لما وضعت الحرب أوزارها افتخر رسول الله ﷺ وطلحة ساكت، وسمّاك أبو دجانة ساكت لا ينطق. فقال رسول الله ﷺ: "لقد رأيتني يوم أحد وما في الأرض قُربي مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري". فقبل في ذلك شعرًا:

وظلحة يوم الشعب آسى محمدًا

لدى ساعة ضاقت عليه وشدة

وقاه بكفّيه الرّماح ففقطعت

أصابعه تحت الرّماح فشلّت

عن جابر أن طلحة مرّ على النبي ﷺ فقال: شهيد يمشي على وجه الأرض. (٦)

فضائله وتضحياته ومعالم شخصيته المباركة الفياضة، لعلها تشعل جذوة الإيمان في قلوب أبناء الإسلام وتحرك عاطفتهم للبحث والاهتمام بشمائل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وغرس قيمهم وصفاتهم الروحانية في النفوس، لأنهم بحق أبطال التاريخ الذين ضحوا من أجل قضايا الإيمان والقيم والمعاني العالية لتبقى راية الإسلام خفاقة سرمدية أبدية.

طلحة بن عبيد الله هو ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. اتصف بالهمة والإقدام والجد والفداء. شارك في مختلف الغزوات ما عدا بدرًا وذلك لأن رسول الله ﷺ كان قد وجّهه وسعيد بن زيد يتحسّسان خبر العير. لمَس منه المصطفى مختلف الخصال الطيبة والمواقف الحميدة حتى أطلق عليه لقبًا مباركة يتناسب وشيمه في كل حادثة، فلقّب ب: طلحة الخير

وظلحة الفيّاض وطلحة الجواد. ويروي ابن طلحة بن عبيد الله: حدثني أبي عن جدي عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة بن عبيد الله قال: سئاني رسول الله ﷺ يوم أحد طلحة الخير، وفي غزوة العشرة طلحة الفيّاض، ويوم حنين طلحة الجواد. (١)

وعن معاوية بن أبي سفيان قال: نظر النبي ﷺ إلى طلحة فقال: هذا ممن قضى نحبه! (٧)

أي نذره فيما عاهد الله عليه من الصدق في مواطن القتال والنصرة لرسول الله ﷺ على الموت، وذلك أنهم عاهدوا الله أن يبذلوا نفوسهم في سبيله، فأخبر أن طلحة ممن وثى بنفسه أو ممن ذاق الموت في سبيله وإن كان حيا.

وعن موسى بن طلحة قال: كنا عند معاوية فقال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: طلحة ممن قضى نحبه. (٨)

لقد عاين بعض الصحابة الكرام مشاهد الفداء والعشق التي تحلى بها طلحة في أصعب المواقف التي تبرز معادن الرجال الصادقين، فكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أحد الشهداء الذين أخلصوا القول والشهادة فيما رَوَوْهُ من صور، فعن عائشة قالت: قال أبو بكر رضي الله عنه: لما صرف الناس يوم أُحُد عن رسول الله ﷺ كنتُ أوَّل من جاء النبي ﷺ، قال: فجعلتُ أنظر إلى رجل بين يديه يقاتل عنه ويحميه، فجعلتُ أقول كُنْ طلحة، فذاك أبي وأمي مرتين! قال: ثم نظرت إلى رجل خلفي كأنه طائر فلم أنشَبُ أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح. فدفعنا إلى النبي ﷺ وإذا طلحة بين يديه صريع، فقال النبي ﷺ: دونكم أخوكم فقد أوجِب! قال: وقد رُمي ﷺ في جبهته ووجنته، فأهويتُ إلى السهم الذي في جبهته لأنزعه، فقال لي أبو عبيدة: نَشَدْتُكَ بالله يا أبا بكر إلا تركتني، قال: فتركته. فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه. فجعل يُبَضِّضُهُ ويكره أن يؤذي النبي ﷺ ثم استلَّهُ بفيه. ثم أهويتُ إلى السهم الذي في وجنته لأنزعه، فقال أبو عبيدة: نَشَدْتُكَ بالله يا أبا بكر إلا تركتني، فأخذ السهم بفيه وجعل يبضضه ويكره أن يؤذي النبي ﷺ ثم استله. وكان من نصيب طلحة من الجروح بضعة وثلاثون بين طعنة وضربة ورمية. (٩)

وعن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ مُصْعِدِينَ فِي أَحَدٍ. فذهب رسول الله ﷺ على ظهره لينهَضَ على صخرة فلم يستطع، فَبَرَكَ طلحة بن عبيد الله تحتَه، فصعد رسول الله ﷺ على ظهره حتى جلس على الصخرة. قال الزبير: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: أوجِبَ طلحةُ. ثم أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فغسل الدم الذي في وجهه وهو يقول: اشتدَّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله ﷺ (١٠).

نعم أيها القارئ الكريم هذا هو طلحة الخير رغم جراحه الغزيرة والشديدة وتمزق يده وهو مُنْهَكٌ لم يتحمَّل أن يرى سيده المصطفى ﷺ الذي أدمى وجهه، عاجزاً عن النهوض على الصخرة إلا وتقدم وقعد رضي الله عنه تحته ﷺ حتى استوى عليها.

ورواية أخرى تقول: "كان على النبي ﷺ يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة. قال الزبير: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: أوجِبَ طلحةُ. ثم أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فغسل الدم الذي في وجهه وهو يقول: اشتدَّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله ﷺ (١٠).

من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض، فليُنظر إلى طلحة بن عبيد الله. (١٣)

وهذه كناية لما أصابه من جراح شديدة وهو يفتدى رسول الله ﷺ بجسده وجوارحه خشية أن يصيبه أذى الكفار. فكان ممن استرخص نفسه وروحه فداءً ليسلم رسول الله ﷺ من طعنات الحراب والسهام التي أحاطت بجسده الشريف من كل جانب.

المراجع:

- عن أم إسحاق بنت طلحة قالت: سمعت أبي وهو يقول: عُقِرْتُ يوم أُحُد في كل جسدي... (١٤).
- لقد وهب طلحة رضي الله عنه نفسه في سبيل الله ورسوله فكان الموت حَقِيقًا به لما أصابه في كل شبر من جسده، لكن الله تعالى شاء أن يهب له الحياة، فوهب الحياة لهذا البطل الذي خشى على حياة رسوله ﷺ، فكان رضي الله عنه حديدًا أن يطلق عليه المصطفى ﷺ لقب الشهيد الحي! فكان عند الله شهيدًا وفي أعين المؤمنين شهيدًا وعند رسول الله شهيدًا!!!
- كان النبي ﷺ قبل ذلك بكثير تنبأ لطلحة وبشَرُّه بدرجة روحية عالية، حيث ورد: أخبرنا قتبية بن سعيد قال عن عبد العزيز عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: اهْدَيْتِي فما عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ
- أو شهيدًا! (١٥)
- لقد تحققت بشارة النبي ﷺ في طلحة، فكان في معركة أُحُد ذلك الشهيد الحي حيث منحه الله مكانة الشهيد وهو على قيد الحياة لفدائه وإيمانه واعتراضه بيده وكفَّه تلك السهام التي كانت تستهدف سيده ﷺ، كما تحققت بشارة النبي ﷺ في طلحة بعد وفاته ﷺ حيث كانت خاتمة حياته أن مات شهيدًا في يوم الجَمَل (عام ٣٦ هـ) (١٦) (وهو ابن أربع وستين سنة. (١٧)
- فكان شهيدًا أثناء حياة الرسول وشهيدًا بعد وفاة الرسول ﷺ. ومما جاء في مناقب حضرة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ما ذكره عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حيث ورد في البخاري: "قال عمر: تُوفي النبي ﷺ وهو عنه راضٍ" (١٨).
- وعن عقبة بن علقمة قال: سمعت علي بن أبي طالب قال: سمعتُ أُذني من فَم رسول الله ﷺ وهو يقول: طلحة والزبير جاراي في الجنة. (١٩)
- نعم أيها القارئ الكريم لقد كان بحق كما وصفه سيده المصطفى ﷺ طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجواد، وأبلى أحسن البلاء، فكُرِّمَ بشهادتين، وفدى برسول الله، فتمزقت يده الطاهرة، فما صرخ وما تأوَّه، وما بقي من جسده المبارك موضع إلا وفيه موضع طعنة رمح أو سيف أو حربة، فكان والله الشهيد الحي في حياته وبعد مماته، ورضي عنه الرسول ومنحه جِوارُهُ في الجنة. ويبقى طلحة بن عبيد الله وردة عطرة مباركة من بين ورود كثيرة في بستان حديقة المصطفى ﷺ التي ما كان لها أن تكون عطرة نضرة تسرُّ الناظرين لو لا ما قدَّمه ﷺ من سقاية روحانية وتضحيات حمَّمة، وعناية قدسية مباركة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، اللهم آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.